

الأسس الإسلامية الواجبة لأخلاقيات المهنة

د. هاجر الطيب عمران

كلية الآداب الزاوية - جامعة الزاوية

المقدمة:

إنَّ أخلاقيات المهنة هي فئة فرعية من منظومة الأخلاق بصفة عامة، والممارس لمهنة معيّنة يواجه أنواعاً خاصة من المشكلات ذات الطبيعة الأخلاقية، يتعيّن عليه أن يتعلّم كيف يواجهها بشكل منهجي، ولا يعنيه بالضرورة تدريبه ومعرفته بالمنظومة الأخلاقية للأشخاص العاديين على مواجهة مثل هذه المشكلات، واتخاذ القرارات المناسبة لها. ومن أمثلة الأعمال والمواقف التي قد يواجهها المهندسون والمعلمون مثلاً، والتي يمكن وضعها في إطار الأعمال غير الأخلاقية، التي لا تتوافق مع الآداب العامة المقبولة للممارسة المهنية.

إنَّ الأخلاقيات للفرد بصفة أساسية في بناء أي مجتمع، وقاعدة أساسية تقوم عليها الحياة، فأخلاقيات المهنة في تراجع واضح في غياب الأسس الإسلامية الواجبة من دين وعقل وضمير، فهي تحتاج إلى منظومة من أخلاقيات للمهن؛ لتشمل القيم وقواعد السلوك المهني والوصف الوظيفي، ولجان التأديب، وكودات أخلاقيات المهنة ومستلزماتها وتطبيقاتها ومبادئ أخلاقية وقواعد سلوك، ولا يمكن أن بقاء الحال على ما هو عليه ليبقى عنصر المال فقط هو المسيطر على المهن ومعاملاتها، فمطلوب تحرك فوري داخلي من عند كل صاحب مهنة ونقابة للمحافظة على أخلاقيات مهنته. لكن العمل المهني له التزامات تجاه صاحب العمل والرؤساء والمجتمع، وفيه مسؤولية أخلاقية ومسؤولية تعاقدية ومسؤولية فنية ومسؤولية تشريعية ومسؤولية إنسانية ومسؤوليات أخرى، كلّ له أخلاقياته المهنية الخاصة مع بعض القواسم المشتركة. وإلا فستطغى المادية على كل مناحي الحياة دون قيم وأخلاق تذكر، وعندها لا يكون

هناك صاحب مهنة ولا نقابة مهنية! عسى أن يرجع البعض لرشدهم الأخلاقي والمهني!

فلو اطلعنا على المجتمعات الغربية القديمة والمعاصرة لوجدناها تمجّد فلاسفتها ومتفقيها، وتخلّد أخلاقهم وأقوالهم وحكمهم، ونحن المسلمون قد سبقناهم بهذا وكنا أفضل منهم بمراحل، فالإسلام دين الحق ودين الأخلاق، حيث لم يبق بترك أي شيء ينفع الأمة واحترامها إلا وقدّمه لنا، وقام بشرحه شرحاً مفصّلاً، فلو بحثنا في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلّم- لوجدنا فيهما الآلاف من الأسس الأخلاقية التي يجب أن يقتدي بها كل مسلم.

فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- أعظم البشر وأفضلهم خُلُقاً، وقد امتدحه ربه -عزّ وجلّ- على حسن أخلاقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: الآية، 4]. والسؤال الذي يجب الإجابة عليه هو هل غياب تلك الأسس يعني غياب الأخلاق في كل المهن؟

لذا كان الهدف من هذا البحث هو التأكيد على أهمية الأسس الإسلامية الأخلاقية الواجبة لكل المهن انطلاقاً من أنّ المجتمع من دون أخلاق في طريقه إلى الانهيار، فتلك الأسس هي من تخلّق الأخلاق المهنية المثالية، والتي بها يبذل المعلم والطبيب والمهندس.

وانتهجت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، فقمت بتقسيم البحث بعد المقدمة إلى:

أولاً- ماهية النظام الخُلقي في الإسلام:

إنّ النظام الأخلاقي في الإسلام نظام للدين والدنيا بما حوي من التشريعات العادلة في كل البيئات والأزمنة، فنيل رضا الله هو الغاية المنشودة في الحياة الدُّنيا، وهو مقياس سامي للأخلاق، فالإسلام لا يقف أمامه أي نظام آخر كيندُّ يُعد وسيلةً للارتقاء والتقدّم، فمبادئه تجعل من خشية الله تعالى قوة تحثُّ الإنسان على القيام بواجباته الأخلاقية على أكمل وجه، سواء كان عاملاً في مصنعه، أو مدرساً في

مدرسته، أو طبيباً مع مَرَضاه يشعرون بهذا النظام البديع داخلياً، دون أن يكون عامل من العوامل الخارجية فيها يد، وعلى هذا النحو، هناك إحساس بالمسئولية الأخلاقية انطلاقاً من كونه ملزماً في هذه الحياة.

إنَّ الإسلام نظامٌ متكاملٌ من الأخلاق الحميدة، وهو لا يحاول الحطَّ من بعض الأخلاق الإنسانية المعروفة، وإنما جاء ليُتِمِّمَهَا ويجعل منها كاملة النفع، إذ يريد الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل الأخلاق مسيطرة في جميع نواحي الحياة، ومهيمنة عليها، حيث بعث خاتم أنبيائه ومرسله ليبلغ بذلك، كما قال -صلى الله عليه وسلم- "إنما بعثت لأتِمِّمَ مكارِمَ الأخلاق"⁽¹⁾.

تَهْدِف مبادئ الإسلام لإقامة نظام حياة بين الناس، يقوم بنيانه على المعروف، ولا يشوبه شيءٌ منكرٌ، وتَحْتُمُّهم ليقوموا الخير في كل زمان ومكان، وأن يشيعوا هذه الأخلاق الإسلامية في العالم، وهذه هي المهمة الأسمى والأهم للمجتمع الإسلامي⁽²⁾، ومتى ما عرف الإنسانُ الحقَّ والخيرَ وأراد الالتزام بذلك، فلن يترك جانحاً أو يتيماً إلاً وأكرمه، وهذا تماماً هو خلق المسلم الحق، ولأنَّ المسلمَ ملزماً أخلاقياً بالمسئولية تُجاه هؤلاء، فهو مسئولٌ نحوهم أمام الله بخصوص تنفيذ تعاليم ومبادئ الإسلام، ومتى ما انعدمت واجباته أخلاقياً تُجاه المريض والطالب، وتجاه كل الأعمال، انعدمت مسئوليته وضاعت حقوقهم.

إنَّ القيم الإسلامية تحقق وظائف عدَّة في ما يتعلق بالفرد، إذ تحاول هذه القيم رفع مرتبته، وتعمل على الرقيِّ به عن المستوى الحيواني، الذي يقتصر على الماديات من طعام وشراب إلى المستوى اللائق بكرامة الإنسان وتقدُّمه، كما تَوْصِلُ أعظم عامل للربط بين أفراد المجتمع للسمو بالجماعة من المرتبة المادية إلى مرتبة الحضارة والرُّقي؛ لأنَّ حبَّ المادة في هذا العصر هي علة العلل وعدوُّ الدِّين الألدِّ ومنافسه الأكبر، وليس معنى هذا أن ينتهج الإنسان منهج الضعف ليتغلب عليها، ولكن بالأخلاق يموت حُبُّ المادة الذي بسببه غفلنا عن كل واجباتنا العلمية

والحياتية، وبذلك تكون الصلات بين الأفراد والهيئات أساسها حميد يعتمد على الإيثار والتقدم والتفاني لأجل خدمة المجتمع⁽³⁾.

أ- الأخلاق لغةً.

1- الأخلاق جمع خلق وهي السجية والمروءة⁽⁴⁾. وهو يحمل في الحقيقة وصف لصورة جميلة أو قبيحة⁽⁵⁾، وتجدر الإشارة إلى أن لفظ خلق ورد في القرآن الكريم بمعانٍ كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، الآية:4]، ويقول ابن منظور: "اشتقاق خَلِيق وما أخلفه من الخلاق، وهي التمرين ويقال للذي أَلِفَ شيئاً فصار ذلك له خلقاً تمرّن عليه، ومن ذلك حسن الخلق"⁽⁶⁾.

وما تجدر الإشارة إليه أن من هذه التعاريف ما يتعلّق بفسولوجية الإنسان الخلقية الظاهرة، ومنها الآخر ما يتعلّق بالجانب السيكولوجي النفسي الروحي؛ لأنّ الإنسان مركّب من جسد وروح، ولكل واحد منهما هيئة وصورة، إما قبيحة وإما جميلة، كما أنّ الخلق غير التخلّق، فالخلق يعنى الطبع، أمّا التخلّق فيعنى التطبّع أو التكلّف أو التصنّع .

2 - الأخلاق اصطلاحاً.

تعدّدت تعريفات علم الأخلاق واختلفت باختلاف المفكرين وطرق تفكيرهم ونظرتهم لماهية الأخلاق وطبيعتها، ولعل هذا الاختلاف وعدم الاتفاق على تعريف جامع مانع للأخلاق يعود لأسباب أهمها: أنّ هذا العلم علم معياري^(*) وليس علماً وصفيّاً^(**)⁽⁷⁾ أي يبحث ويهتم بما ينبغي أن يكون لا بما هو كائن، فغاية هذا العلم وضع مثل أعلى يسير بمقتضاه الإنسان وتحديد ماهية الخير والشر والتطبّع نحو الأفضل.

ومن الواضح أنّ أقدم التعريفات يقال أنّها ترجع إلى جالينوس (129-199ق.م) الذي ذهب إلى أنّ "الخلق حالة للنفس داعية للإنسان إلى أن يفعل أفعال النفس بلا روية واختيار"⁽⁸⁾.

وأما أرسطو فقال: "إنّ الفضيلة الأخلاقية تأتي نتيجة للعادة، وأنّ اسم الخلق ينتج عن انحراف بسيط عن كلمة العادة"⁽⁹⁾.

معنى هذا أن الأخلاق تطلق على سلوك الفرد الذي يتفق مع عادات مجتمعه وتقاليده، ومن ثم فهو صاحب الخلق؛ لأن الخلق يخص الإنسان دون غيره من الكائنات الأخرى، كما تُعرف الأخلاق بأنها "علم بالقواعد والحقائق التي لو روعيت عملياً لكان السلوك الإنساني على خير ما يطلب"⁽¹⁰⁾.

من الواضح أن هذا التعريف جمع بين بعدين أخلاقيين هما العلم والعمل، الذي هو علم بالقواعد العامة التي لو طبقت عملياً لصار الإنسان خيراً. يتضح ممّا سبق أن الأخلاق ليست علماً وصفيّاً، وإنما هي العلم المعياري الذي يضع المعايير والقواعد التي ينبغي مراعاتها، وبها تقاس قيم الأفعال الإنسانية. كما عرّفت الأخلاق بأنها العلم المعياري الخاص بالسلوك، أو العلم الذي يحكم على السلوك بأنه صائب⁽¹¹⁾.

فأخلاقيات المهنة مشتقة من كلمة أخلاق، وهي المعايير التي تضبط تصرف الفرد في المجتمع، ومثلها تلك الخاصة بالعمل⁽¹²⁾، وهي مجموعة من القواعد والآداب السلوكية والأخلاقية التي يجب أن يتصف بها الشخص المحترف في أداء وظيفته، وتحمل مسؤوليته تجاه عمله، ومجتمعه وتجاه نفسه واحترامه لذاته⁽¹³⁾، إذ تعد أخلاقيات المهنة أو آداب المهنة فئة فرعية من منظومة الأخلاق البشرية الحيدة عامة، ويطلق عليها البعض آداب المهنة، فهي التي تجعل الموظف متأدباً بالخلق العملي والمهني للوظيفة، فلا تعتمد الوظيفة على إنجاز العمل فقط، بل التخلُّق بالسلوكيات الحميدة، وتختلف التعريفات لأخلاقيات المهنة وتتعدّد، ومن هذه التعريفات أنها مجموعة القواعد والمبادئ المجردة التي يخضع لها الموظف في تصرفاته في إنجاز مهام العمل، ويحتكم إليها في تقييم سلوكه، وتوصف بالحسن والقبح⁽¹⁴⁾.

ولقد نظر الإسلام إلى أخلاقيات المهنة على أنها هي الجهد الإرادي الذي يؤديه الإنسان، سواء كان عملاً فكرياً أو بدنياً من أجل تحقيق منفعة دينوية مشروعة،

وعليه فهي صفات مستقرة في النفس البشرية قد تكون فطرية أو مكتسبة ذات تأثير في السلوك.

ثانياً - الأسس الإسلامية الواجبة لأخلاقيات المهنة:

تعد الأديان السماوية أهم مصدر من مصادر الأخلاقيات، وقد أكدت السنة النبوية الشريفة هذا وفصلت ما ورد في القرآن الكريم في هذا الصدد، ومصدر الثقافة العربية الإسلامية حيث كان العرب والمسلمون كعادتهم أول من أدركوا في كتبهم أهمية المبادئ والأسس الأخلاقية التي تقوم عليها المهنة، ومصدر التشريعات والقوانين والأنظمة، إذ تعد التشريعات والقوانين والأنظمة المعمول بها من المصادر الأخلاقية، فهي تحدّد الواجبات الأساسية المطلوب التقيد بها وتنفيذها، ويقصد بالتشريعات الدستور والقوانين والأنظمة والتعليمات، ومصدر التشريعات المهنية مثل نظام الأشغال الحكومية، ودفتر عقد المقاوله الموحد لمهنة الهندسة، ومصدر العادات والتقاليد والقيم والموروث الحضاري، حيث أنّ المجتمع المدني والموروث الحضاري مصدر مهم لأخلاقيات المهنة على مستوى العلاقة مع الزملاء والمجتمع والمهنة، ومصدر لوائح آداب المهنة والأدب التربوي الحديث، والذي يشمل سلوكيات الإخلاص في العمل والصدق والاحترام والتواضع وإدارة الوقت واجتتاب الكبر والغرور وغيرها، بيد أنّ الإطار القيمي للممارسات المهنية، يشمل العدل والنزاهة والصدق والأمانة والوفاء بالعهد وحفظ السر والتناصح وإتقان العمل والابتعاد عن إيذاء الغير وغيره، كما يشمل مكارم الأخلاق والقيم التي يدعو إليها الإسلام والأديان السماوية للتمسك والالتزام بتطبيقها في الحياة اليومية، فما أوجبنا نحن المسلمين للاقتداء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي جعله الله قدوة لكل مسلم، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: الآية، 21].

ويهتم الإسلام بالجوانب الأخلاقية من جميع النواحي، وسنركز على الجوانب الأخلاقية الإسلامية المهنية التي ينبغي أن تراعى في المهنة.

وظالما أن أخلاقيات المهنة هي الصفات السلوكية الحسنة المطلوب تحلية النفس بها في مجال العمل المهني المشروع بعد تخليتها من الصفات السلوكية السيئة.

فما هي أهم خصائص أخلاقيات المهنة؟

ثالثاً: خصائص أخلاقيات المهنة في الإسلام.

هناك العديد من الخصائص لأخلاقيات المهنة منها:

1- مستمدة من القرآن الكريم والسنة.

2- ثابتة لا تتغير.

3- صالحة لكل زمان ومكان.

فسؤالنا التالي هل هناك مصادر وأسس متينة ثابتة لأخلاقيات المهنة وصالحة

لكل زمان ومكان؟

أ- القرآن الكريم والسنة النبوية.

فالقرآن والسنة النبوية هما القاعدتان الأساسيتان التي يدور حولهما كل نظام أخلاقي مهني، فإذا لم يعد هناك قواعد وأسس فلن تكون مسئولية، وإذا انعدمت المسئولية فلا يمكن أن تكون هناك عدالة ولا جزاء فتنهار القيم، وآيات القرآن هي الدستور والقانون الأخلاقي لكل مهنة، فالإلزام هنا ليس معناه الإلزام من طرف تلك القواعد، وإنما معناه الالتزام من جانب المعتقد بعقيدة دينية بأوامر ونواهي تلك العقيدة⁽¹⁵⁾.

كان لابد لنا من توضيح أن الإسلام بيّن الطبيعة البشرية في قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة ص: الآية، 70-71] فالإنسان في الإسلام بهذه الطبيعة يولد مستعداً لقبول الخير والشر، ولهذا ميّزه الله تعالى عن سائر الكائنات الحية بالعقل والتفكير والإرادة؛ ليكون مناطاً بالمسئولية الأخلاقية، وأرسل أنبياءه ورسله للإنسان بالأوامر والنواهي التي إن اتبعها نجا وحقّق السعادة في الدنيا والآخرة، وإن أعرض عنها هلك، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: الآية 3] لذلك

فمبادئ الإسلام قد وضعها الله لتحقيق التعادل والتوازن بين هذين الجانبين؛ لأنَّ للأخلاق مكانة راقية ومنزلة رفيعة في الإسلام لأهميتها البالغة في بناء المسلم وتربيته وتوجيه سلوكه وتماسك المجتمع وتعاون أفراده على البر والتقوى لتدبير شؤونهم الدنيوية وطلب الفلاح، ولذا جاءت توجيهات ربانية كثيرة جداً لتعزيز الأخلاق والعمل بها.

والإنسان لم يُخلق عبثاً بلا هدف، بل لمهمة إثبات إنسانيته بتحقيق عبوديته لله، حيث يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمُ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة المؤمنون: الآية، [116]، والإنسان ميّزه الله بالعقل والإيمان، وبالتالي فهو ملزم أخلاقياً بالعمل الصالح في كل مهنة متى ما نهى النفس عن ميولها ورغباتها، وأكد الله على مجازاته أفضل جزاء. بقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة النحل: الآية، [97] فالعمل الصالح لم يحدّد فهو عام وشامل ومطالب به كل ذكر وأنثى، فالطبيب مطالب بالعمل المهني والعناية بمرضاه، وكذلك المهندس والمعلم والإيمان دافع للإنسان للعمل واحترام الآخرين ومساعدتهم⁽¹⁶⁾.

من الواضح أنّه لا يمكن أن توجد الأخلاق كقوة فاعلة في المجتمع دون قواعد وأسس أخلاقية، فلا أخلاق لمجتمع أضاع منابع أخلاقه، ومتى ما تمّ الأخذ بها تأسس مجتمع مترابط يمتلك كل مقومات التقدم داعياً للفضيلة أبداً وجامعاً بين السلوك والخلق في جميع المجالات من تعليم وطب وهندسة، فكانت أخلاقه أخلاقاً إيجابية حية قادرة على العمل ترمي إلى إصلاح الفرد والمجتمع، وبزوال تلك الأسس يُقضى على الغاية التي تحقّقها الأخلاق، وانعدمت المسؤولية، ومع انعدام المسؤولية ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه وإقامة العدالة، وهو الخير الأخلاقي كله لأنّه هو القانون لهذه الحياة.

ب- السنة النبوية.

تلي السنَّة النبوية القرآن الكريم رتبة وأهمية في مصدرية التشريع من حيث أنَّ بها بيان مجمله وإيضاح جوهره وتقييد مطلقه وتدارك ما لم يذكر فيه، والسنة تكون أقوال و أفعال وإقرار، فالأقوال ما رواه الرسول من أحاديث صحيحة، والأفعال هي التي أوضحها الرسول بالفعل، وأمَّا الإقرار فهو ما فعله الصحابة في عهد الرسول وأقره الرسول ولم يعترض عليه.

ويؤيد القرآن الكريم هذا المصدر بقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء، الآية 79]، فالسنَّة مصدرٌ ملزمٌ وراذعٌ خلقيٌّ للإنسان وحائه له على ممارسة مهنته على أكمل وجه، فهي من أسس أخلاقنا المهنية بل من أولوياته، فالمعلم والطبيب والمعلم ليس في حاجة أن تصاغ وتوضع له أخلاق مهنية، والقرآن والسنة هما مصدر التشريع، ومتى ما تمسك بها توصل إلى فلسفة المهنة بذاتها.

ج- العقل والضمير.

ولقد ألهمت النفس الإنسانية الحدس الخلقي فعرفت طريق الفضيلة والزيلة، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [سورة البلد، الآية 10]، معنى ذلك أنَّ في الإنسان قوة باطنية تعمل على نصحه وترجِّح له أفضلية أن يفعل أو لا يفعل⁽¹⁷⁾، إلا أنَّ هذا النور الفطري في الإنسان، (سواء كان العقل أو الضمير)، قد يغلقه الهوى وتقسه العادات، أو قد يعجز عن الحكم الصحيح تحت أي ظرف من الظروف فلا بد إذن من سلطة عليا هي التي وضعت في العقل والضمير قانونهما كجزء من كيانه، فصانع العقل سبحانه وتعالى يعلم كل مكوناته، فلا أحد يعرف جوهر النفس وشريعة سعادتها وكمالها غير خالق وجودها ذاته لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك، الآية 14].

ممَّا سبق يتضح أنَّ العقل هو معيار خيرية الأفعال وشريعتها، فما يتفق وقواعد العقل فهو خير، وما يعارضها فهو شر، وهذا ما يسمَّى إلزام العقل، وأمَّا إلزام الضمير فهو رقيب داخلي على أفعالنا، فتأنيب الضمير هو دليل على عدم الرضا

على فعل الإنسان، وراحة الضمير هي دليل على الرضا على الفعل، ولكن متى ما عجز العقل والضمير على ضبط الفعل، كالسارق الذي أدمن السرقة، هذا لن يلزمه ضميره ولا عقله، بل تفرض عليه الشريعة عقوبات وفُوض أمرها إلى الحاكم على من سؤل له الشيطان الهرب من أمر الطاعة والالتزام، لقد راعى الإسلام على أساس قانون الحياة الإنسانية وجعل لكل مستوى من النماذج البشرية ما يناسبه، الترغيب والترهيب والتنفير، كوسائل لفرض الأسس الأخلاقية وما حملت من قوة رادعة لأنَّ الترغيب والترهيب من الوسائل التي تثير النفوس وتحرك الضمائر كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ﴾ [سورة الهمة، الآية: 1-2-3]، وبجانب أسلوب الترهيب والتهديد كان أسلوب الترغيب والتشويق لمن أراد أن ينهج نهجاً قوياً كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف، الآية: 30]، وهذه الوسيلة الواجبة ليس لها قيمة الوسيطتين السابقتين من الناحية الأخلاقية، ولكن الإسلام يؤكد الحرص عليها لأنها تناسب طبائع معيَّنة ونماذج من البشر لا يجدي معها إلا هذا الأسلوب لإرجاعها إلى جادة الصواب، ومن هنا لا يمكن أن يوجد أي تناقض بين الفطرة الخلقية في الإنسان والتعليمات المنزلة من الله تعالى، ولهذا فالمصدر الأول القرآن، هو المصدر الأساسي لأخلاقيات كل المهن وهو كلام الله وما به من أوامر ونواهي تستلزم الطاعة والتقيُّد.

نستنتج أنَّ التطبيقات الفعلية لتلك الأسس والقواعد تتجلى في واقع الإنسان باعتباره أحد أفراد المجتمع، وهي تظهر في مستويين: فردي واجتماعي مؤكدة حرية الإنسان وإرادته في الاختيار وتحمل المسؤولية، فالفرد مسئول على أخلاقيات عمله واع لشخصيته محقق النفع العام للمجتمع بأسره.

نستنتج ممَّا سبق أنَّ المسؤولية الاجتماعية على الرغم من أنَّها تكوين ذاتي يقوم على نمو الضمير كرقيب داخلي، إلا أنَّها في نموها نتاج اجتماعي يتم تعلمه واكتسابه من خلال المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وتبدأ عملية تعلم المسؤولية الاجتماعية منذ الصغر ضمن الأسرة، حيث ينمو الإحساس بالواجب ومدى حجم

المسئولية الأخلاقية تدريجياً عن طريق التنشئة والتربية، والهدف من الإحساس بالمسئولية الاجتماعية هو إعداد الفرد ليكون مواطن المستقبل، ويكون واعياً بذاته ومسئوليته الاجتماعية، فالتربية سواء في الأسرة، الجامعة أو المسجد من أهم الوسائل التي تساعد على إذكاء وتنمية الشخصية الإنسانية، إنَّ تربية الإحساس بالمسئولية تعد من الركائز الأساسية في التربية الإسلامية، ويمكن أن تُعرّف الإنسان المسلم بأنّه إنسان مسئول؛ لأنّ المسئول هو الشخص الذي يتحمّل بصفة مستمرة وبوعيه الكامل نتائج أعماله، وهو مسئول أمام الله - سبحانه وتعالى - أولاً، ثم أمام نفسه ومجتمعه، وعلى مدى التزاماته بمسئوليته⁽¹⁸⁾ وإن تعددت المسئوليات، والتي منها:

1- المسئولية القانونية، وهي مراعاة القانون، فمفرداتها الأخلاقية تشمل الثقة والأمان والمصادقية والدقة والانضباط والاحترام والنزاهة والصراحة، والكرامة والإخلاص والجدية والاستقلالية والموضوعية والحيادية والشفافية، ومحاربة الفساد والحياد السياسي والسرية المهنية والأمانة ومهارات الاتصال الانضباط الذاتي والانتماء، والإحساس بقيمة الوقت والإتقان، فهي بحر واسع من المفردات، فمسألة القانون والأخلاق، فدائرة الأخلاق أوسع من دائرة القانون؛ لأنّ القانون يحتاج إلى قضية الخلق، فالخلق علم بالفضائل وكيفية اقتنائها وبالرذائل وكيفية تلافيتها، والقانون سلطة مجتمعية خارج نطاق التجمّع المهني، ولأئحة آداب المهنة هي سلطة خاصة بالمجتمع المهني لا محالة، ومعظم ما هو أخلاقي لا يخاطبه القانون مثل الإحسان في العمل، وهناك أعمال ضارة لا يجرمها القانون مثل الحسد والحقد وغيرهما، فالقانون يلزم الناس ولا يجعلهم شرفاء، فالشرف هو ما يصنعه الإنسان بإيمانه بنفسه وثقته بربه وإبداعه في مهنته وتقديسه لها بكل احترام لقواعدها وقوانينها.

2- نحتاج لمواثيق شرف للمهن كافة ونحتاج لتحديث أنظمة ممارسة المهن، ودعمها بالقيم الأخلاقية للمهنة، ونحتاج لدعم مهنية مكاتب المهن ودقتها ووثاقها ومهنتها، ونحتاج لتعزيز رقابة ديوان المحاسبة لتكون قبل وإبان وبعد العمل التنفيذي ورفدها

بالمعايير الأخلاقية، ونحتاج لتعزيز عمل هيئة النزاهة ومكافحة الفساد وإضافة المعايير الأخلاقية لعملها وفقاً للتوجيهات..

3- المسؤولية الاجتماعية وهي مراعاة حقوق الآخرين والمحافظة عليها في شتى الوظائف والمهن التعليمية الطبية والهندسية وغيرها.

4- المسؤولية الأخلاقية هي مراعاة مكارم الأخلاق مع الناس. إن تلك المسؤوليات على قدر واحد من الأهمية، فالمسؤولية الاجتماعية تفرض التعاون والانضباط، وتتسم بالصبغة الإنسانية وبالشمولية، فهي تشمل مسؤولية الفرد نحو نفسه ونحو أسرته والجيران والوطن والعالم كله، ونحو وجباته المهنية وما تحمله من أخلاقيات في كل مجال⁽¹⁹⁾، ويُعد ذلك كله المحك الفعلي لأخلاقيات المهن.

نستنتج ممّا سبق أنّ القواعد الإسلامية واجبة ومطلوبة في ركب أوجه الحياة كلها، ومن ضمنها أداء مهنة معيّنة كمهنة التعليم، أو الطب، أو الهندسة في إطارها المعماري التطبيقي وما تتطلبه من دقة وانضباط، فهذه المهنة وغيرها تتطلب منا التزام أخلاقي ذاتي تُجاهها، وقيام بواجبات أخلاقية معيّنة، فالكل يعلم مثلاً أنّ مهنة التعليم من أشرف المهن ورسالتها من أسمى الرسائل، وأي مهنة لا بد لها من أخلاقيات تنظّم السلوك العام لأعضاء المهنة وسلوكهم في ما بينهم ومع غيرهم من العاملين في مجالات المهن الأخرى.

فهل هناك أخلاقيات لكل مهنة؟ بها تحقق النمو الشامل المتكامل والنمو الاجتماعي والاقتصادي السياسي للمجتمع، نعم ومن هذه الأخلاقيات على سبيل المثال لا الحصر:

أ- أخلاقيات خاصة بمهنة التعليم، فالتعليم مهنة ذات قداسة خاصة توجب على القائمين بها أداء حق الانتماء إليها إخلاصاً في العمل وصدقاً مع النفس، فالمعلم صاحب رسالة يستشعر عظمتها ويؤمن بأهميتها ويستصغر كل عقبة تعيقه عن تبليغ رسالته تجاه تلاميذه، وتصوره المستمر لرسالته يئنّيان به عن مواطن الشبهات، حفاظاً على شرف مهنة التعليم، ودفاعاً عنها فضلاً على علو مكانة هذه المهنة وسموها

لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: الآية، 11].

ب- أمّا عن مهنة الطب فالعلاقة بين الطبيب ومريضة علاقة إنسانية قوامها الخير والرفق وهدفها تحقيق خير الدنيا والآخرة لقوله -صلى الله عليه وسلّم- : "من حرم الرفق حرم الخير"⁽²⁰⁾. فتواضع صاحب هذه المهنة مع مرضاه وإحساسه بهم وعفوه عن زلاتهم فهو المسعف والمعالج، والمواسي والمتابع لحالاتهم⁽²¹⁾، فيدل ذلك على تمسّكهم بالقيم الأخلاقية والمثل العليا التي نادى بها السنة الشريفة، لقوله ﷺ: "ما زاد الله عبداً يعفوا إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله"⁽²²⁾.

مما سبق يتضح أنّ الثقة المتبادلة واحترام التخصص والأخوة المهنية هي أساس العلاقة بين الطبيب ومرضاه وزملائه، حيث يؤدي العاملون في مهنة الطب وغيره واجباتهم كافة ويصبغون سلوكهم كله بروح المبادئ والإعمال الصادرة من القلوب والضمائر الحية، وتتأصل تلك المبادئ بمهنية عالية⁽²³⁾. لقوله ﷺ: "أن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"⁽²⁴⁾.

يمكن أن نستخلص أنّه متى ما تمسّك الفرد بأخلاقيات معيّنة، حقق غايات خلقية وشعر بمسئولية تُجاه ذلك، وهو التزام ذاتي يمليه عليه ضميره وقلبه لأنّهما أي - الضمير والقلب- منه ما فعل الخير أو الشر نحو الجماعة يشمل الشعور بالواجب والقيام به، كما يشمل الاهتمام بالآخرين والتعاون معهم من أجل مصلحة الجماعة، هذا وقبل كل شيء فهو أمانة ينبغي أن تمارس على أكمل وجه لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ الْأَرْضِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب: الآية72]، فالمسئولية على هذا النحو هي أفضل الأساليب في تقويم حياة الإنسان وبناء شخصيته بناءً يرتكز على الإيمان بالله تعالى لقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، [سورة الحجر: الآية 92].

ممّا سبق يتضح أنّ الأسس الإسلامية تلك متى ما كانت فلسفة عمل، أصبحت الأخلاق فيها حجر الزاوية في بناء النظام الاجتماعي والاقتصادي والديني للدولة، وتتحقّق إيجابية هذه الأخلاق إذا تكامل مفهوم الإسلام في مختلف المجالات، أصبح مساواة وأخوة وعدالة وحرية، وعندها تتحقّق وتتسامى كل مهنة بأخلاقياتها، فوعينا الذاتي بالأخلاق يعدّ عنصراً أساسياً في تأسيس الأخلاق.

فما هي أهم الأخلاقيات الواجبة لكل مهنة؟

رابعاً- أخلاقيات المهنة الإسلامية الواجبة:

1- الإخلاص.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الزمر: الآية، 2]. فالأخلاق المهنية هي ذلك السلوك الإنساني الذي يتميز به كل مهني في مهنته ووظيفته سواء أكان معلماً أو طبيباً أو مهندساً، فخرق تلك القوانين والأخلاقيات يعني ذلك السقوط في الهاوية، فلا بد أن تكون المهنة لدية اعتقاد وتقديس وضمير ومعاملة. (25).

2- الصدق.

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: الآية، 41]، وقوله ﷺ: "إنّ الصدق يهدي إلى البر وإنّ البر يهدي إلى الجنة وإنّ الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً....." (26).

3- الوفاء بالعهد.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [سورة: النحل الآية، 91] وقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية، 76].

4- الأمانة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: الآية، 8].

5- التواضع والرفق:

قال تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآية، 215]، ولقوله ﷺ: "وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه" (27).

6- الصبر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [سورة آل عمران: الآية، 200].

أما أخلاقيات المهنة التي نهى الإسلام عنها نذكر بعضاً منها:

1- الكذب.

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول ﷺ قال: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور ليهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" (28).

1- الظلم. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية، 57]. ولقوله ﷺ: "انقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة...." (29).

2- الفساد.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: الآية، 77].

3- الغش.

لقوله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "من غشنا فليس منا" وقوله: "من غش فليس مني" (30).

4- الاعتداء والحسد.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة المائدة: الآية، 87]، ولقوله ﷺ: "ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا" (31).

الخاتمة:

- 1- إنَّ أهم الخصائص لأخلاقيات المهنة في الإسلام مستمدة من القرآن الكريم والسنة لذا كانت ثابتة لا تتغير، صالحة لكل زمان ومكان.
- 2- أخلاقيات المهنة هي الصفات السلوكية الحسنة المطلوب تحلية النفس بها في مجال العمل المهني المشروع بعد تخليتها من الصفات السلوكية السيئة.
- 3- لا يمكن أن توجد الأخلاق كقوة فاعلة في المجتمع دون قواعد وأسس أخلاقية، فلا أخلاق لمجتمع أضع منابع أخلاقه، ومتى ما تمَّ الأخذ بها تأسَّس مجتمعٌ مترابطٌ يمتلك كل مقومات التقدم داعياً للفضيلة أبداً وجامعاً بين السلوك والخلق في جميع المجالات من تعليم وطب وهندسة، فكانت أخلاقه أخلاقاً إيجابية حية قادرة على العمل ترمي إلى إصلاح الفرد والمجتمع، وبزوال تلك الأسس يُقضى على الغاية التي تحقَّقها الأخلاق وانعدمت المسؤولية، ومع انعدام المسؤولية ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه وإقامة العدالة، وهو الخير الأخلاقي كله لأنَّه هو القانون لهذه الحياة.
- 4- أنَّ من الأسس الإسلامية الواجبة لأخلاقيات المهنة تلك متى ما كانت فلسفة عمل، أصبحت الأخلاق فيها حجر الزاوية في بناء النظام الاجتماعي والاقتصادي والديني للدولة، وتتحقَّق إيجابية هذه الأخلاق إذا تكامل مفهوم الإسلام في مختلف المجالات، أصبح مساواة وأحوة وعدالة وحرية، عندها تتحقَّق وتتسامى كل مهنة بأخلاقياتها فوعينا الذاتي بالأخلاق يعد عنصراً أساسياً في تأسيس الأخلاق المهنية والعمل به
- 5- فالمعلم والطبيب والمهندس ليس في حاجة أن تصاغ وتوضع له أخلاق مهنية والقرآن والسنة هما مصدر التشريع، ومتى ما تمسَّك بها توصل إلى فلسفة أخلاقية مهنية عالية فتلك الأسس هي من تمدنا بالأخلاق المهنية المثالية، والتي بها يبدع المعلم والطبيب والمهندس.

هوامش البحث ومراجعته:

القرآن الكريم، برواية قالون عن نافع.

- 1- العقّاد: المجموعة الكاملة لمؤلفات العقّاد، م5، دار الكتاب، بدون، 1970، ص156.
- 2- الألباني: كتاب الأخلاق والصلة، الصحيحة، حديث رقم 92، ص28.
- 3- العقّاد: المجموعة الكاملة لمؤلفات العقّاد، م5، ص156.
- 4- الطاهر الزاوي: مختار القاموس، ليبيا الدار العربية للكتاب، 1979، ط1، ص192.
- 5- ابن منظور: لسان العرب تقديم الشيخ عبد العليلى، ج2، بيروت، دار الجيل، 1988، ص182.
- 6- المصدر نفسه، ج2، ص1244-1248.
- (*) هو المبدأ الأول أو القاعدة النموذجية التي تقاس الموضوعات عليها
- (**) مرحلة انتقال بها ننتقل إلى دراسة تنظيريته لموضوع ما في العالم، ويتصل الوصف والتفسير اتصالاً يدمج أحدهما الآخر محمد شفيق وآخرون: الموسوعة الفلسفية العربية، ج1، بيروت معهد الإنماء، 1986، ص65-66
- 7- جالينوس، كتاب الأخلاق مجلة الآداب، ج1، الجامعة المصرية، 1937، ص151.
- 8- أرسطو : الأخلاق النيقومافية، تحقيق أبو بكر التلوع، ليبيا منشورات جامعة الجبل الغربي، 1998، ص67.
- 9- أبو بكر زكري: مدخل إلى فلسفة الأخلاق مصر، دارا لتأليف، 1969، ط1، ص7.
- 10- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، لبنان المنشورات العالمية، 1999، ط1، ص240.
- 11- المرجع نفسه. ص240.

- "Definitions for ETHICS", definitions, Retrieved 2019-10-6. -12
Edited
- "professional ethics", yourdictionary, Retrieved 2019-10-6
Edited-13
- Careers in Ethics", fordham, Retrieved 2019-10-5 Editedi- 14
- 15- محمد عبد الستار نصار: دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم، 1992، ط1،
ص380.
- 16- المرجع نفسه، ص380.
- 17- عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن مؤسسة الرسالة، 1991، ط1، ص
43.
- 18- أنور الجندي: القيم الأساسية للفكر والثقافة العربية، بيروت، دار الرسالة،
ص408.
- 19- حصة أحمد الغزال: المسؤولية والجزاء في الكتاب والسنة، حولية كلية أصول
الدين بالقاهرة، العدد السابع عشر، المجلد الثاني عشر، ص98-99.
- 20- رواه مسلم كتاب الصلة والبر والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث2592.
- 21- عبد الله محمد الرباطي: الوجيز في طب الأسنان، دار سما، 2009، ص37.
- 22- رواه مسلم، كتاب الصلة والبر والآداب باب استحباب العفو رقم
الحديث،2588.
- 23- حصة احمد الغزال: المسؤولية والجزاء في الكتاب والسنة، حولية كلية أصول
الدين بالقاهرة مرجع سابق، ص98-99.
- 24- رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، رقم
الحديث2567.
- 25- ناهده القسيمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، مصر مكتبة الإسكندرية، 1993،
ط1، ص104.
- مجلة رواق الحكمة
العدد التاسع يونيو 2021م
18

- 26- رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم الحديث 2606.
- 27- رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث 2588.
- 28- رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله رقم الحديث 2607.
- 29- رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم، رقم الحديث 2577.
- 30- رواه مسلم كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ من حمل السلاح فليس منا، رقم الحديث 101 - 102.
- 31- رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابير رقم الحديث 2559.